

رِسَالَةٌ إِلَى

الدَّعِيِّ الْأَجُوفِ الْمُخْتَالَ زُورًا

إِنَّنَا نَسْأَلُ الدَّعِيَّ الْأَجُوفَ الْمُخْتَالَ زُورًا:

لَمْ اِنْتِقَاصُ مَنْ خَالَفَكَ؟ وَلَوْ هَذِهِ النُّعْرَةُ الَّتِي لَا تَقُومُ عَلَيَّ

شَيْءٍ؟ وَلَوْ السُّكْرُ بِخَمْرَةِ الْغُرُورِ؟

لَمْ تُصْعِرْ خَدًا، وَتَتَبَّهْ عَجْبًا، وَتَرُومْ بَعْدًا، وَتُجَاوِزْ حَدًّا!

فِيَا لَلْكَبِيرِ!!!!!!

تَعِيبُ، وَتَعْتَابُ، وَتَنْكَلُ بِمَنْ يُخَالِفُكَ، كُلُّ هَذَا لِكَسْبِ أَكْبَرِ

عَدَدٍ مُمَكِّنٍ مِنَ الْاِتِّبَاعِ مِنَ الْهَمَجِ الرَّعَاعِ مِنْ جَهْلَةِ شَبَابِ

الْمُسْلِمِينَ السَّطْحِيِّينَ الْمَسَاكِينَ:

فَلِمَ كُلُّ هَذَا؟!!!!

لِمَاذَا لَا تُعِرُّ اِخْوَانَكَ اُذُنًا وَاعِيَةً، وَنَفْسًا مُرَاعِيَةً، وَقَدْ فَرَّشُوا

لِمَوَدَّتِكَ خِيَانًا صُدُورِهِمْ وَبِجَامِعِ اَعْمَارِهِمْ، وَقَدْ رَكَّبَتْ مِنْ

التَّعَالِي شَرَّ مَرْكَبٍ، وَذَهَبَتْ فِي التَّغَالِي أَسْوَأَ مَذْهَبٍ، فَجَهَلَتْ قَدْرَ
الْفَضْلِ، وَجَحَدَتْ فَضْلَ الْعِلْمِ، وَامْتَطَيْتِ ظَهَرَ الْعُجْبِ وَالْكَبْرِ،
فَأَصْبَحَ الْكِبْدُ بِسَبَبِ جَفَائِكَ وَمُصَارِمَتِكَ مَقْرُوحٌ، وَالرُّوحُ
مَجْرُوحٌ؛ لِمَخَاطَبَتِكَ لِإِخْوَانِكَ الْمُجْحِفَةِ، وَطَرِيقَتِكَ الظَّالِمَةِ
الْمُتَحَيِّفَةِ.



لَمْ تُصَدِرْ أَحْكَامًا عَلَى مُخَالِفِيكَ بَلْ وَمَنْ لَمْ يَمْدَحْكَ وَالَّتِي
تَصَلُّ إِلَى حَدِّ الْهَجَاءِ نَتِيجَةَ طَيْشِكَ وَعَظْبِكَ الْأَهْوَجِ وَكِبْرِكَ
الْمَقِيَّتِ؛ أَحْكَامٌ مُحْتَلَّةٌ وَجَائِرَةٌ وَعَيْرٌ مَقْبُولَةٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ بِأَيِّ
حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ !!!

لَمْ تَسْخَرْ وَتَسْتَسْخَرْ وَتَسَخَّرُ مِنْ مُخَالِفِيكَ؟ !!!
لَمْ تَزُرِّي بِإِخْوَانِكَ، وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِكَ نَظْرًاؤُكَ وَخِلَانُكَ، فَهَلْ
بَعْدَ ذَلِكَ لَنَا أَنْ نَقُولَ قَوْلَ الْقَائِلِ:

لَا أَزُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ الْمَرْءَ مِنْ ثَمَرِهِ



وَنُذِّكِرُ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَ الْمُهْلِكَاتِ؛ فَذَكَرَ مِنْهَا: "إِعْجَابُ
الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ". (١)

فَمَا الْفَائِدَةُ - يَا أَيُّهَا الْمُخْتَالُ زُورًا - حَتَّى لَوْ اْمْتَلَكْتَ - وَكَلِمَتَ
كَذَلِكَ - نَاصِيَةِ الْبَيَّانِ وَزِمَامَ الْفَصَاحَةِ وَطَلَّاقَةَ اللِّسَانِ وَقُوَّةَ
الْفِيهْقَةِ وَعُلُوَّ الطَّنْطِنَةِ؛ وَسُلِبَ مِنْكَ نِعْمَةُ التَّوْفِيقِ وَالسَّدَادِ؟! !!



فَإِنَّ غَضِبَ هَذَا الدَّعِيَّ الْأَجُوفُ الْمُخْتَالُ زُورًا مِنْ خِطَابِنَا
هَذَا؛ فَلَيْتَ ذَكَرَ جَفَاءَهُ وَمَا كَالَهُ وَيُكِيْلُهُ لِإِخْوَانِهِ وَعُلَمَائِهِ، وَمَا
بَارَزَهُمْ بِهِ مِنْ سُوءِ الْكَلَامِ، "وَالدَّمُ فِي النَّصْلِ شَاهِدٌ عَجَبٌ"،
فَأَخْرَجَ فِتْنَمًا مِنْ الْعُلَمَاءِ مِنْ دَائِرَةِ الْعِلْمِ، وَدُعَاةٍ مِنْ دَائِرَةِ
الدَّعْوَةِ؛ لَا لَشَيْءٍ إِلَّا لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا بِقَوْلِهِ، بَلْ - وَيَا لِلْعَجَبِ! -
لِمَجْرَدِ أَنَّهُمْ سَكَنُوا فَلَمْ يَمْدَحُوهُ عَلَيَّ نَتَائِجِهِ "الْفِدَّةُ"، وَبِأَنَّهُ "أَتَى
بِهَا لِمَيَّاتٍ بِهِ الْأَوَائِلُ" !!!

(١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (٤٧/٦) وَعَظْمُهُ، وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِيِّ فِي
الصَّحِيحَةِ (١٨٠٢).

فَقَدْ نَضًا حُسَامَهُ الْقَاطِعَ مِنْ غَمْدِهِ، وَشَحَذَ كَهَامَهُ (١)، وَنَشَلَّ
 كَنَانَتَهُ (٢)، وَشَهَرَ قَلَمَهُ، وَشَحَذَ لِسَانَهُ، وَأَسْهَبَ وَتَوَسَّعَ -وَيَا
 لِلْأَسْفِ- ضِدًّا إِخْوَانِهِ (٣)!!!

فَأَخَذَ يَطْوِي فِجَاجَ بَيْدَاءِ الْمُصَارِمَةِ، وَيَقْتَحِمُ صَحْرَاءَ
 الْمُخَاصِمَةِ، فَيَضْرِبُ بِلِسَانِهِ يُمْنَةً وَيُسْرَةً فِي عُلَمَائِنَا وَدُعَاتِنَا، وَتَارَةً
 يُزَوِّرُ الْكَلَامَ لِلْعَوَامِ وَيُنَمِّقُ لَهُمُ الْحَدِيثَ، (وَالرَّجُلُ قَدْ أُوتِيَ
 جَدَلًا) يُوفِّضُ إِلَى غَايَتِهِ فِي حِمَاسَةٍ وَجُرْأَةٍ وَإِصْرَارٍ (لَيْتَهُ كَانَ فِي
 صَوَابٍ)؛ غَيْرِ مُبَالٍ: كَيْفَ يَصِلُ إِلَيْهَا؟!!



إِنَّا نُؤْمِنُ بِالْحَوَارِ الْهَادِيِّ الْبِنَاءِ الْمُثْمِرِ الدَّائِرِ بَيْنَ قَوْلٍ وَقَوْلٍ
 وَحُجَّةٍ وَحُجَّةٍ، وَالْمُجَادَلَةِ الْهَادِفَةِ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ بِالْقَوْلِ اللَّيِّنِ
 وَالْكَلِمَاتِ الْوَادِعَةِ السَّلْسِلَةِ مَعَ طُولِ الْأَنَاءِ وَمُطَاوَلَةِ حِبَالِ الصَّبْرِ
 وَالتَّائِي.

(١) الْكَهَامُ؛ بِفَتْحِ الْكَافِ: السَّيْفُ الْكَلِيلُ.

(٢) أَيُّ: اسْتَخْرَجَ النَّبَالَ مِنْ جِرَابِهَا.

(٣) فَيَا لَيْتَهَا كَانَتْ ضِدًّا قَوْمِ آخَرِينَ!!

وَلَوْ يُرِيدُ أَنْ يَتَحَمَّلَ النَّاسُ إِفْرَاطَ هَذَا الدَّعِيِّ الْأَجُوفِ
 الْمُخْتَالِ زُورًا وَمَا يُبْدِيهِ مِنْ تَهْجُمٍ وَتَجَنُّ؛ بِنَفْسٍ جَرِيحَةٍ وَكَبِدِ
 مَقْرُوحَةٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا
 عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ
 بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ
 لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ (الشُّورَى).



وَلَوْ يُعَانِي إِخْوَانُهُ مِنْ ذَرْبِ لِسَانِهِ (١)؛ حَتَّى نَخْشَى عَلَيْهِ لَا
 عَلَي أَنْفُسِنَا، فَأَحَقُّ مَا يَبْغِي أَنْ يُمْنَعَ مِنَ الْإِنْبِعَاطِ فِي الْبَاطِلِ:
 اللِّسَانُ؛ لِأَنَّ زَلَّتْهُ مُهْلِكَةٌ، وَمِنْ حَقِّ مَا يِهْلِكُ إِرْسَالُهُ: أَنْ يُزَمَّ.
 أَيُّ: يُشَدُّ عَلَيْهِ مِنَ التَّفَلُّتِ.

(١) ذَرْبُ اللِّسَانِ: حَدَّثُهُ، وَقِيلَ: سُرْعَتُهُ وَفَسَادُ مَنْطِقِهِ، يُقَالُ: فُلَانٌ ذَرْبُ
 اللِّسَانِ؛ مَعْنَاهُ فَاسِدُ اللِّسَانِ، وَهُوَ عَيْبٌ وَدَمٌّ، فَيُقَالُ: قَدْ ذَرْبَ لِسَانَ الرَّجُلِ
 يَذْرُبُ إِذَا فَسَدَ.

فَلَا بُدَّ مِنْ اسْتِزْزَالِهِ مِنْ عُنْتِهِ وَعُلُوِّهِ الْمُتَوَهَّمِ إِلَيَّ مَائِدَةَ
 الْمَفَاوِضَةِ وَالْمُقَاوَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَإِنَّ لَمْ يُجِدْ ذَلِكَ مَعَهُ نَفْعًا،
 وَزَادَ فِي مُكَابَرَتِهِ وَصُدُودِهِ وَصَلَفِهِ. ... فَإِنْظَارُهُ لَعَلَّهُ يَرْجِعُ،
 وَبِالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ يَقْنَعُ، أَوْ يَتَذَكَّرُ فَيَرْعِي ...

فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يُعِيدَهَا جَذَعَةً؛ وَأَنْ يَفِيضَ الْكَأْسُ وَيَطْفَحَ
 الْكَيْلُ وَيَبْلُغَ السَّيْلُ الزَّبْيَ وَيُجَاوِزَ الْقِيْعَانَ وَالرُّبَا، ... فَ"آخِرُ
 الدَّوَاءِ الْكَيُّ"^(١)، فَلَا بُدَّ - حَيْثُ - مِنْ الرَّدِّ عَلَيْهِ وَتَبْيِينِ مَا عَلَيْهِ
 مِنْ خَطَلٍ حَتَّى لَا يَظُنَّ أَنَّا عَيْنَانَا عَنِ الْجَوَابِ، وَلِيَكُونَ قُوَّةً
 لِلْمُسْتَرِشِدِ وَبَيَانًا لِلْمُتَحَيِّرِ وَبَصِيرَةً لِلْمُهْتَدِي وَمَقْتَلًا لِلْخَرَّاصِينَ
 وَنُصْحًا لِإِخْوَانِنَا الْبَاحِثِينَ عَنِ الْحَقِّ.



وَعَسَى أَنْ يَنْكَبَ عَنْ هَذِهِ السَّبِيلِ، وَأَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْ هَذَا الْمَذْهَبِ
 الْوَبِيلِ؛ بَعْدَ أَنْ سَلَكَ مَسَلَكًا مَجْهَلًا وَذَهَبَ مَذْهَبًا مُسْتَوْبَلًا دَلَاهُ

(١) رَاجِعْ: مَجَلَّةُ "الْوَعْيُ الْإِسْلَامِي" الْعَدَدُ (٣٤٨) يَنَابِرِ ١٩٩٥، مَقَالَةٌ

"الْجِدَالُ قَبْلَ الْقِتَالِ" د. مُحَمَّدٌ مُحَمَّدُ الشَّرْقَاوِيِّ (ص ٨٥، ٨٦)

فِي مَهَاوِي الْغُرُورِ، وَيَمْنِيهِ بِأَمَانِي زُورٍ، يَجْدُوهُ إِلَى رُكُوبِهَا وَيَسْتَقِيهِ
بِذُنُوبِهَا؛ رِعَاعٌ مِنَ الصَّبِيَّانِ أَكْبَرُوهُ، وَفَوْقَ الْعُلَمَاءِ رَفَعُوهُ، وَغَرَّهُ
رَحْمَةُ إِخْوَانِهِ بِهِ، وَسُكُوتُهُمْ عَنْهُ، وَعَدَمُ انْتِبَاهِهِمْ لِلْمَلْتَهَبِ حِمْرِهِ،
وَخَطِيرِ أَمْرِهِ. فَأَرَدْنَا أَنْ نُرِيَهُ وَبَالَ غَوَائِلِهِ وَبَغْيِهِ؛ حَيْثُ يُلْقِيهِ
غُرُورُهُ إِلَى مَا يُشْمِتُ بِهِ أَعَادِيهِ.

إِنَّ قِيَامَ هَذَا الدَّعْيِ الْأَجُوفِ الْمُخْتَالِ زُورًا بِسَلِّ قَلَمِهِ
وَإِشْهَارِ لِسَانِهِ عَلَى مَنْ هُمْ أَفْضَلُ وَأَعْلَى مِنْهُ عِلْمًا وَفَضْلًا وَمَكَانَةً؛
كَشَفُ حَقِيقَةِ أَمْرِهِ وَسُوءِ مَذْهَبِهِ وَفَسَادِ طَوِيئَتِهِ، وَإِقْرَارُ مَنْهُ عَلَى
نَفْسِهِ بِمَا يُكِنُّهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ كِبَرٍ وَعُجْبٍ.

وَهَذِهِ تَبَصُّرَةٌ وَتَذَكُّرَةٌ، وَلَيْسَ بَعْدَهَا حُجَّةٌ وَلَا مَعْذِرَةٌ، فَضَلَّ
عَنِ الْإِنْصَافِ وَالرَّشَادِ وَالْأَدَبِ وَرَأَى سَيِّءَ أَمْرِهِ حَسَنًا، وَثَنَى لَهُ
هَوَاهُ إِلَى مَهَالِكِهِ عِنَانًا وَرَسَنًا (أَيُّ: جَبَلٌ)، فَلْيَحْذَرْ مِنْ دَوَاعِي
الْفِتَنِ، وَعَوَاقِبِ الْإِحْنِ، وَعَمَلِي الْبَصَائِرِ، وَوَحِيمِ الْمَصَائِرِ.

"فَقَلَّةُ مُحَالِطَةِ الْأَكْفَاءِ مِنْ أَقْوَى أَسْبَابِ الشُّعُورِ بِالْأَفْضَلِيَّةِ
وَالِاسْتِعْلَاءِ بِالزَّهْوِ وَالشُّمُوخِ وَالْعُجْبِ وَالْحَيْلَاءِ وَالْكَبْرِ" (١).



إِنَّا نَأْمَلُ اسْتِصَالَ شَافَةِ كِبَرِهِ مِنْ نَفْسِهِ وَتَطَاوُلِهِ عَلَيَّ إِخْوَانِهِ
بَعْدَ وَقُوعِهِ فِي شَرَاكِ الْغُرُورِ وَالْكَبْرِ وَالْعُجْبِ لِالْتِفَاتِهِ لِكَثْرَةِ
مَدِيحِ الْمُتَقَرَّبِينَ وَإِطْرَاءِ الْمُتَمَلِّقِينَ وَالتِّفَافِ الْغَوْغَاءِ الْغَمْرِ الْجَهْلَةِ؛
... فَيَشْعُرُ - حِينئذٍ - بِأَنَّهُ عَدِيمُ النَّظِيرِ وَأَوْحَدُ الْعَصْرِ وَفَرِيدُ
الدَّهْرِ فِي فَنِّهِ، وَيَعْلَبُ عَلَيْهِ حُبُّ الشَّنَاءِ وَيَسْتَفْرَهُ الْفَرَحُ بِمَا يُمَدِّحُ
بِهِ مِمَّنْ حَوَّلَهُ مِنَ الْبُسْطَاءِ فِي الْعِلْمِ.

فِيضُمُّ فِي أَعْطَافِهِ وَشَتَائِيَاهُ غُرُورًا يَصْعَبُ عَلَيْهِ التَّخْلُصُ مِنْهُ -
إِلَّا أَنْ يَرْحَمَهُ اللَّهُ.

فَانظُرْ إِلَى نَبْرَةِ شُعُورِهِ بِالِاسْتِعْلَاءِ الذَّنَائِيِّ عَلَيَّ أَقْرَانِهِ وَنُظْرَائِهِ
مِنَ "الْمُتَخَصِّصِينَ" الَّذِينَ يَشْعُرُ بِجَهْلِهِمْ فِيمَا عَلِمَهُ هُوَ وَجَهْلُوهُ

(١) انظر: "أدب الدنيا والدين" للماوردي (ص ٣٢٩) تحقيق/ محمد

صباح، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.

فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ أَوْ تِلْكَ؛ وَقَدْ كَانَ مِثْلَهُمْ إِلَى وَقْتٍ قَبْلَ بَحْثِهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَوْ تِلْكَ، وَأَنْظِرْ إِلَى صَلْفِهِ وَغُرُورِهِ، وَمَجِّهِ أَيَّ مُحَاوَلَةٍ لِإِظْهَارِ نَقْصِ بَحْثِهِ وَحَاجَتِهِ إِلَى مَزِيدِ اجْتِهَادٍ، وَسُعُورِهِ بِأَنَّهُ أَنْهَى هَذَا الْمَوْضُوعَ وَأَغْلَقَ بَابَهُ؛ فَهَذَا مِنْ "التَّشْبِيعِ بِمَا لَمْ يُعْطَ"!!!

وَنُذَكِّرُهُ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْمُبَارَكِ: "مَنْ اسْتَحَفَّ بِالْعُلَمَاءِ ذَهَبَتْ آخِرَتُهُ، وَمَنْ اسْتَحَفَّ بِالْأُمَّرَاءِ ذَهَبَتْ دُنْيَاهُ، وَمَنْ اسْتَحَفَّ بِالْإِخْوَانِ ذَهَبَتْ مُرُوءَتُهُ".

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمَ



وَنَخْشَى عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (١) "لَنْ

يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ".

وَفِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (٢) "هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ

الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ".

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

وَالْمُنْتَضِعُ: أَي: الْمُتَعَمِّقُ الْمُغَالِي الْمَجَاوِزُ الْحُدُودَ فِي أَقْوَالِهِ
وَأَفْعَالِهِ.



قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (١) "لَا يَتَعَمَّقُ أَحَدٌ فِي الْأَعْمَالِ
الدِّينِيَّةِ، وَيَتْرُكُ الرَّفْقَ إِلَّا عَجَزَ وَانْقَطَعَ؛ فَيُغْلَبُ".



فَقَدْ أَفْرَطَ الدَّعِيُّ الْمُخْتَالُ زُورًا فِي رَأْيِهِ وَأَسْرَفَ وَشَطَّ
وَتَعَدَّى وَظَلَمَ وَتَجَاوَزَ الْحَدَّ، وَفِي رُدُودِهِ عَلَيَّ خُصُومِيهِ، بَلْ وَفِي
جَرِحِهِمْ؛ خِلَافَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ
شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ
فَقِيرًا فَإِنَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُّوا أَوْ
تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ (النِّسَاء).

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ
شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا
ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ (المائدة).

قَالَ الطَّبْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (١) "يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، لِيَكُنْ مِنْ ءَأَخْلَاقِكُمْ وَصِفَاتِكُمْ؛ الْقِيَامُ
لِللَّهِ، شُهَدَاءَ بِالْعَدْلِ فِي أَوْلِيَائِكُمْ وَءَاعْدَائِكُمْ، وَلَا تَجُورُوا فِي
ءَأَحْكَامِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ، فَتَجَاوِزُوا مَا حَدَدْتُ لَكُمْ فِي ءَاعْدَائِكُمْ
لِعَدَاوَتِهِمْ لَكُمْ ...".

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (٢) "أَيُّ: كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْحَقِّ لِلَّهِ ﷻ، لَا
لَأَجْلِ النَّاسِ وَالسَّمْعَةِ، وَكُونُوا ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ أَيُّ:
بِالْعَدْلِ لَا بِالْجَوْرِ. ... وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ

(١) فِي تَفْسِيرِهِ (٦/١٤١).

(٢) فِي تَفْسِيرِهِ.

عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا ﴿ أَيُّ: لَا يَحْمِلَنَّكُمْ بُغْضُ قَوْمٍ عَلَى تَرْكِ الْعَدْلِ فِيهِمْ، بَلْ اسْتَعْمِلُوا الْعَدْلَ فِي كُلِّ أَحَدٍ؛ صَدِيقًا كَانَ أَوْ عَدُوًّا؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ أَيُّ: عَدْلُكُمْ أَقْرَبُ إِلَى التَّقْوَى مِنْ تَرْكِهِ. ...

وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ مِنْ بَابِ اسْتِعْمَالِ أَفْعَلِ التَّفْضِيلِ فِي الْمَحَلِّ الَّذِي لَيْسَ فِي الْجَانِبِ الْآخِرِ مِنْهُ شَيْءٌ، ...
ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أَيُّ: وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَى مَا عَلِمَ مِنْ أَعْمَالِكُمُ الَّتِي عَمَلْتُمُوهَا، إِنَّ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ".



فَالْعَدْلُ وَالْإِنْصَافُ هُوَ مَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.
قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (١) "أَهْلُ السُّنَّةِ أَعْدَلُ مَعَ الْمُبْتَدِعَةِ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ".

(١) فِي "مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى".

فَمَا بِالكَ بِإِخْوَانِكَ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ؟!!!
 وَيَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللهُ: (١) "وَأَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ: الْعِلْمُ وَالْعَدْلُ،
 وَأَصْلُ كُلِّ شَرٍّ: الْجَهْلُ وَالظُّلْمُ".

وَقَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (٢) "فَمَا أَرْتَفَعُ أَحَدٌ إِلَّا بِالْعَدْلِ وَالْوَفَاءِ،
 وَلَا سَقَطَ أَحَدٌ إِلَّا بِالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ وَالْعَدْرِ".



فَإِذَا قَابَلْنَا تَطَاوُلَهُ وَتَحَامُلَهُ بِالتَّطَوُّلِ وَالتَّحَمُّلِ؛ فَيَزِدَادُ بَغِيًّا
 وَعُدْوَانًا، وَلِوُدِّدَنَا إِزْرَاءً وَنُكْرَانًا؛ فَنُحَالِفُ فَيُخَالِفُ، وَنُفَاصِلُ
 فَيُفَاصِلُ، وَنُجَالِبُ فَيُجَانِبُ، وَنُحَرِّصُ عَلَيَّ الْوُدَادِ وَيُحَرِّصُ عَلَيَّ
 الْمُصَارِمَةَ وَالتَّبَاتِ، فَيَشِطُّ وَيَعْتَسِفُ (٣)، دُونَهَا أَسْفُ، فَلَا نَرَى
 مِنْهُ إِلَّا غِيظًا يَحْتَدِمُ، وَمَقْدُوفَاتٍ مِنَ التُّهْمِ!!! فَلَا نُكَلِّهُ -لِإِنْ
 كَلَّنَاهُ- إِلَّا دُونَ الْمِثْلِ، فَلَبِئْسَ الْمَرْكِبَ الَّذِي رَكَبَ!

(١) فِي "إِعَاثَةِ اللَّهْفَانِ" (٢/١٣٧).

(٢) فِي "وُجُوبِ التَّعَاوُنِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ" (ص ١٣).

(٣) الشَّطَطُ: تَجَاوُزُ الْحَدِّ، وَالْاِعْتِسَافُ: الْمَيْلُ عَنِ الطَّرِيقِ الْمَأْلُوفِ.

وَلَسْتُ أَجْزِيكَ الْجَزَاءَ الَّذِي عَلَيَّ فَأَيُّ الصَّنْعِ لَا بَخْسِهِ
 وَلَيْسَ يَبْخِي صَاحِبًا مَنْ إِذَا أَهَيْنَ؛ لَا يَبْخِي عَلَيَّ نَفْسِهِ
 فَلَا يَغْتَرُّ إِنْ أَعْصَمْنَا لَهُ عَنْ أَدَى، وَأَطْبَقْنَا أَجْفَانَنَا مِنْهُ عَنْ
 قَدَى.



عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (١) "إِنَّ الرَّفْقَ لَا
 يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ".



قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ:
 تَكَلَّمْ وَسَدِّدْ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا كَلَامُكَ حَيٌّ وَالسُّكُوتُ جَمَادُ
 فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلًا سَدِيدًا تَقُولُهُ فَصَمْتُكَ مِنْ غَيْرِ السَّدَادِ سَدَادُ
 قَالَ الرَّخْشَرِيُّ فِي خِتَامِ إِحْدَى مَقَالَاتِهِ:
 "إِنَّ الطَّيِّبَ فِي الْكَلَامِ يُتَرَجَّمُ عَنْ خِفَّةِ الْأَحْلَامِ، وَمَا دَخَلَ
 الرَّفْقُ شَيْئًا إِلَّا زَانَهُ، وَمَا زَانَ الْمُتَكَلِّمَ إِلَّا الرَّزَانَةَ".



وَقَالَ الشَّاعِرُ:

كُنْ ابْنَ مَنْ شِئْتَ وَاکْتَسِبْ أَدَبًا يُغْنِيكَ مَأْثُورُهُ عَنِ الْحَسَبِ

لَا شَيْءَ فِي الْأَرْضِ أَنْتَ تَكْسِبُهُ أَحْمَدُ عِنْدَ الْأَنَامِ مِنْ أَدَبٍ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: "مَنْ كَثُرَ أَدَبُهُ دَامَ شَرُّهُ".

وَرَوَى عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: (١) "قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ؛ مَا

يُحْسِنُهُ".



فَتَحَسَّنَى الدَّعِيَّ الْأَجُوفُ الْمُخْتَالُ زُورًا عِلْمًا غَيْرَ طَائِلٍ،

وَرَكَّبَ كُلَّ صَعْبٍ وَذَلُولٍ، وَأَخَذَ فِي كُلِّ طَرِيقٍ، وَوَلَجَ كُلَّ

مَضِيقٍ، وَخَاضَ لُجْجًا لَيْسَ مَعَهُ فِيهَا مَرَكَبٌ، وَلَمْ يَبْلُغْ شِفَاءَ الْعَيْنِ

وَلَا طَمَآنَةَ الْقَلْبِ.

وَيَجْرَأُ بِفِعْلِهِ أَنَا سَا أَوْ بَأْسًا مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ عَلَيَّ آرَاءٍ وَأَقْوَالٍ لَمْ

يَكُونُوا لِيَجْرُؤُوا عَلَيَّهَا لَوْلَا هَذَا!

(١) "نَهْجُ الْبَلَاغَةِ" (٤/١٨)، مَعَ التَّنْبِيهِ عَلَيَّ أَنَّ الْكِتَابَ لَا تَثْبُتُ نِسْبَتُهُ

لِلْإِمَامِ عَلِيٍّ رضي الله عنه.

وَيُخَالِفُهُ مَنْ يُخَالِفُهُ مِنْ إِخْوَانِهِ فِي اللَّهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَلَيْسَ
 مَنْ يُخَالِفُهُ - بِحَمْدِ اللَّهِ - مِنْ أَهْلِ الْغَمْرِ (أَيُّ: الْجَهْلِ) فَيَجْهَلُهُمْ،
 وَلَا مِنْ الْغَمْرِ (أَيُّ: الْحَقْدِ وَالْعَدَاوَةِ) فَيَنَاصِبُهُمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ،
 وَلَكِنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ الْمُنَافِحِينَ عَنِ الْحَقِّ، وَالْحَقُّ غَيُورٌ.
 فَيَحَاوِلُونَ نُصْحَهُ؛ وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْمَعَ لِنُصْحِهِمْ؛ وَكَمَا قَالَ
 طُرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ:

وَإِنْ نَاصِحٌ مِنْكَ يَوْمًا دَنَا فَلَا تَنَأَ عَنْهُ وَلَا تُقْصِهِ
 وَإِنْ بَاتَ أَمْرٌ عَلَيْكَ التَّوَى فَشَاوِرْ لَيْبًا وَلَا تَعْصِهِ
 وَذُو الْحَقِّ لَا تَنْقُصْ حَقَّهُ فَإِنَّ الْقَطِيعَةَ فِي نَقْصِهِ



وَلَكِنَّ هَذَا الدَّعِيَّ الْأَجُوفَ الْمُخْتَالَ زُورًا مَتَى بَلَغَهُ نَقْدُ
 إِخْوَانِهِ؛ يَأْنَفُ وَيَسْتَكْبِرُ، وَيُصِرُّ عَلَيَّ أَنَّهُ سَابِقُ أَقْرَانِهِ وَأَوْحَدُ
 زَمَانِهِ؛ بَلْ رُمَانَةٌ مِيزَانِهِ!!
 وَيَسْتَمِرُّ صَاحِبِنَا الْخَطَّاءُ؛ بَلْ يُفَلْسِفُ هَذَا الْخَطَّاءُ، بَلْ يُدْمِنُهُ؛
 حَتَّى يَصْبَحَ الْخَطَّاءُ عِنْدَهُ صَوَابًا!

وَيَعُدُّ النَّقْدَ نَوْعًا مِنَ الْبَحْثِ عَنِ الْعُيُوبِ، وَأَنَّهُ لَا يَصْدُرُ إِلَّا
 مِنْ حَاسِدٍ أَوْ حَاقِدٍ، وَأَنَّهُ صُورَةٌ مِنْ صُورِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ،
 وَالْإِسْتِفْزَازِ، وَالتَّشْهِيرِ، وَالْمَحَارَبَةِ، وَالتَّلْبِيبِ عَلَيْهِ، وَالسَّعْيِ إِلَى
 إِسْقَاطِهِ، وَتَشْكِيكًا فِي عِلْمِهِ وَأَبْحَاطِهِ الْفَذَّةَ وَفَضْلِهِ الَّذِي لَا يُنْكِرُهُ
 إِلَّا جَاحِدٌ!! وَيَعُدُّ النَّقْدَ تَشْكِيكًا لِلْإِتْبَاعِ وَالْمُرِيدِينَ فِي جَدَارَتِهِ
 وَصَلَاحِيَّتِهِ وَهَكَذَا.

وَيَعُدُّ النَّقْدَ نَوْعًا مِنَ التَّنْقِصِ وَحَطًّا لِلْمَكَانَةِ بَلْ جَرِيمَةً
 نَكَرَاءً... ..



ثُمَّ يَأْتِي شَيْئًا إِمْرًا؛ فَيَتَنَاوَلُ مَنْ خَالَفَهُ بِالْهَمْزِ وَاللَّمْزِ، وَيُلِصِقُ
 بِهِ تِهْمَةً الْجَهْلِ بِالْأَمْرِ، وَيَسْتَلُّ قَلَمَهُ وَيَشْحَذُ لِسَانَهُ وَيَنْطَلِقُ فِي
 غَضَبٍ غَيْرِ مُنْضَبِطٍ لِلتَّهْجُمِ وَالتَّهْكُمِ، وَالتَّجْرِيحِ وَالنَّيْلِ مِنْ
 عُلَمَاءِ وَطُلَّابِ عِلْمٍ لَا يَجْمَعُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ يُخَالِفُونَهُ الرَّأْيِ وَلَا
 يُوَافِقُونَهُ فِيمَا وَصَلَ إِلَيْهِ، بَلْ أَحْيَانًا لِمَجْرَدِ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَنُوا عَلَيْهِ وَعَلَى
 جَهْدِهِ الْخَارِقِ غَيْرِ الْمَسْبُوقِ!!

يَنْطَلِقُ بِمَنْهَجٍ فِيهِ طَيْشٌ وَيَقُومُ عَلَى التَّهْوِيلِ وَالتَّهْيِيجِ وَقَلَّةِ
الْإِنْصَافِ

وَلَمْ تَزَلْ قَلَّةُ الْإِنْصَافِ قَاطِعَةً بَيْنَ الْأَنَامِ وَإِنْ كَانُوا ذَوِي رَحِمٍ



فَتَعَلَّمَ - أَيْهَا الْأَجُوفُ! - أَنْ تُنْصِفَ مِنْ نَفْسِكَ، وَتَجْتَهِدَ فِي
إِصْلَاحِ خَطِيئَتِكَ، فَهَذِهِ خَصْلَةٌ إِيْمَانِيَّةٌ تُرَبِّنُكَ "لَأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا
اتَّصَفَ بِالْإِنْصَافِ لَمْ يَتْرُكْ لِمَوْلَاهُ حَقًّا وَاجِبًا عَلَيْهِ إِلَّا أَدَاءَهُ، وَلَمْ
يَتْرُكْ شَيْئًا مِمَّا نَهَاهُ عَنْهُ إِلَّا اجْتِنَابَهُ، وَهَذَا يَجْمَعُ أَرْكَانَ الْإِيْمَانِ" (١)؛
كَمَا قَالَ عَمَّارٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (٢) "ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيْمَانَ:
الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَدَلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ (٣)، وَالْإِنْفَاقُ مِنَ
الْإِقْتَارِ (٤)".



- (١) قَالَهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ.
(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مُعَلَّقًا (بَاب: إِفْسَاءُ السَّلَامِ مِنَ الْإِسْلَامِ).
(٣) وَالْمُرَادُ: جَمِيعِ النَّاسِ.
(٤) يَعْنِي: الْقَلَّةَ، وَقِيلَ: الْاِفْتِقَارُ.

وَأَعَانَهُ قَوْمٌ آخَرُونَ هَمَلٌ رِعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، بَعْدَ أَنْ مَوَّهَ
ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِمِيَاهِ السَّنْفِطَةِ وَغَشَّاهَا بِدَعَاوِي لَا يَقْنَعُ بِهَا إِلَّا
الْعَوَامُ وَلَا تَقُومُ عَلَيَّ قَدَمٌ، لِيَغْشُ بِهَا أَعْيُنَ الْكَلِيلِ مِنَ النَّاطِرِينَ؛
يَطْلُبُ بِذَلِكَ أَنْ يَظْهَرَ أَمَامَ النَّاسِ أَنَّهُ وَحْدَهُ أَسَدُ الْعَرِينِ !!!



وَزَادَتْهُ الرُّدُودُ عَلَيْهِ بَحْثًا لِحَمِّعِ الشُّبْهِ وَالِاسْتِكْثَارِ بِهَا لِإِظْهَارِ
ذَاتِهِ لَا طَلْبًا لِلْحَقِّ، وَهَذَا مَا رَأَيْنَاهُ مِنْهُ حَتَّى فِي تَرَاجُعَاتِهِ؛ فَآتَى بِمَا
لَمْ يَأْتِ بِهِ الْأَوَائِلُ !!!



فَالأَمْرُ يَحْتَاجُ إِلَى تَقْلِيلِ النَّظَرِ وَالتَّفْكِيرِ الْمُتَعَمَّقِ بِهُدُوءٍ وَتَرَوٍ،
وَفَقَّ مَنَهْجٍ عِلْمِيٍّ دَقِيقٍ، بِالْهُدَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ الَّتِي لَا غِنَى عَنْهَا
بِإِضَاءَاتِ الْوَحْيِ الرَّبَّانِيِّ قُرْآنًا وَسُنَّةً، ﴿يَتَأَهَّلُ الْكِتَابِ قَدْ
جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ
تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ قَدْ
جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ

اللَّهِ مَنْ أَتْبَعَ رِضْوَانَهُ، سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ
 الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ (المائدة)، مَعَ قَوْلِ الْحَقِّ فِي صِدْقٍ وَتَجَرُّدٍ - وَلَوْ
 كَانَ مُرًّا، وَلَوْ كَانَ ضِدًّا مِنْ نَحْبٍ - دُونَ تَشْوِيهِهِ أَوْ تَجْرِيحِهِ، وَأَيْضًا
 دُونَ تَأَثُّرِهِ بِالضَّحِيحِ الْمَرْعِجِ.

فَلَا بُدَّ مِنْ إِزَالَةِ مُلْتَبَسَاتِ الْأُمُورِ؛ بِحُجَّةٍ تُثَلِّجُ وَحَرَ
 الصُّدُورِ، فَرَبَّ سَمٍّ فِي الشَّهَدِ مُذَابٍ!!



إِنَّهُ الْحَدِيثُ الْعِلْمِيُّ الرَّصِينُ لِلْعِلْمِ وَالْمُنَاقَشَةُ الرَّشِيدَةُ الْهَادِيَّةُ
 الْمُنْطَلِقَةُ مِنَ الْبُحُوثِ السَّابِقَةِ عَلَيْهَا؛ تَخْتَارُ مِنْهَا وَتَبْنِي عَلَيْهَا
 بِدُونِ ضَوْضَاءٍ وَلَا ضَحِيحٍ وَلَا كَلِمَاتٍ وَنَبْرَاتٍ عَالِيَةٍ مُتَعَالِيَةٍ،
 وَلَا تَبْتَغِي إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ، ثُمَّ تَعُودُ بَعْدَ هَضْمِ ذَلِكَ بِرِصَانَةٍ لَطَرِحِ
 كُلِّ ذَلِكَ لِلْبَحْثِ مَرَّةً ثَانِيَةً لِإِثْرَاءِ الْبَحْثِ وَتَرْشِيدِهِ وَإِنَارَةِ الطَّرِيقِ
 لِمَنْ يَأْتِي بَعْدَنَا.

إِنَّهُ الْجَهْدُ الْمُنَظَّمُ الْمُنَاسِقُ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الْجُهُودِ آخِذًا بِأَسَالِبِ
 الْعِلْمِ الدَّقِيقَةِ وَالْمَوْضُوعِيَّةِ، لَا تَأْخُذُهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ وَلَا يَرْكَبُهُ
 الْغُرُورُ.



فَالَأَمْرُ يَحْتَاجُ إِلَى عَالِمٍ بَصِيرٍ يَنْزِعُ عَنْ فَتَاهِ فِي الدِّينِ مُسْتَقِيمٍ
 وَبَصِيرَةٍ وَقَادَةٍ وَعِلْمٍ مُوَصَّلٍ مُؤَسَّسٍ عَلَيَّ قَوَاعِدِ رَاسِخَةٍ وَأَدَلَّةٍ
 ثَابِتَةٍ.

وَلَيْسَ إِلَى مُدَّعٍ مَغْرُورٍ مُخْدُوعٍ مُعْجَبٍ بِمَدْحِ النَّاسِ أَوْ مُتَّبِعٍ
 هَلْوَى أَوْ طَالِبٍ لِدُنْيَا.



إِنَّمَا لَسْنَا ضِدَّ الْأَجْتِهَادِ الْمُقَيَّدِ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَلَا
 الْعَرَضِ الْقَائِمِ عَلَيَّ إِبْدَاءِ الرَّأْيِ وَتَرْجِيحِ احْتِمَالٍ عَلَيَّ احْتِمَالٍ -مَعَ
 مَا فِيهِ-، بَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ: "لِلْآخِرِ أَنْ يَسْتَدْرِكَ عَلَيَّ الْأَوَّلِ"،
 إِذَا نَبَغَ وَتَأَهَّلَ، وَفَهِمَ كَلَامَ الْأَوَّلِ وَمُرَادَهُ، وَأَسْلَمَ إِلَيْهِ فِي
 التَّاصِيلِ قِيَادَهُ، عَلَيَّ أَنْ لَا يُؤَدِّي اسْتِدْرَاكُهُ إِلَى مُخَالَفَاتِهِمْ، وَلَا
 مُخَالَفَةِ إِجْمَاعِ اسْتَقَرَّ قَبْلَ غَرَائِبِ هَذَا الْعَصْرِ!!

وَلَكِنَّا ضِدَّ مُصَادَرَةِ اجْتِهَادِ الْآخِرِينَ، وَأَنْ يُضْرَبَ عُرْضَ
 الْحَائِطِ بِجُهُودٍ مَنْ سَبَقْنَا وَمَنْ حَوْلَنَا، وَغَلِقَ بَابٌ لَيْسَ بِأَيْدِينَا
 إِغْلَاقُهُ، وَتَصْوِيرِ الْأَمْرِ أَنَّهُ وَصَلَ فِيهِ إِلَى الْحَسْمِ بِرَأْيٍ قَاطِعٍ وَقَوْلٍ
 فَضْلٍ يَجِبُ أَنْ يُسَلَّمَ بِهِ سَائِرُ الْبَاحِثِينَ؛ وَكَأَنَّهُ وَصَلَ إِلَى نُصُوصِ
 قَطْعِيَّةِ الدَّلَالَةِ تَصِلُ بِالْإِنْسَانِ إِلَى بَرْدِ الْيَقِينِ، وَأَنَّ أَفْكَارَهُ كَأَنَّهَا
 نُصُوصٌ وَحْيٌ، وَكَأَنَّ أَصْحَابَهَا "يَحْتَكِرُونَ الْحَقِيقَةَ وَحَدَهُمْ،
 وَيَمْلِكُونَ مَفَاتِيحَ الْحِكْمَةِ الَّتِي حُرِّمَ مِنْ مِثْلِهَا غَيْرُهُمْ، وَيُصِيبُونَ
 دَائِمًا وَيُحْطِئُ مَنْ سِوَاهُمْ." (١)

وَيَقُولُ الشَّيْخُ / مُحَمَّدٌ شَلْتُوت رَحِمَهُ اللهُ: (٢) "الإِسْلَامُ لَا يُخْصُ
 أَحَدًا بِحَقِّ الِاسْتِثْنَاءِ بِتَفْسِيرِ النُّصُوصِ، وَلَا بِحَقِّ إِلْزَامِ النَّاسِ
 بِرَأْيِهِ، بَلْ يَمْنَحُ هَذَا الْحَقَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ حَائِزٌ لِأَهْلِيَّةِ الْبَحْثِ".

(١) انظُرْ: "الفقه الإسلامي في طريق التجديد" للدكتور / مُحَمَّد سَلِيم
 العَوَا (ص ٢٧)

(٢) في كتابه "الإسلام عقيدة وشريعة" طبعة القاهرة سنة ١٤٠٠هـ /

فَلَيْسَ هُنَاكَ مُشْكِلَةٌ وَلَا ضَرَرٌ مِنْ بَدَلِ الْجُهْدِ وَالْاجْتِهَادِ
وَالِاسْتِفَادَةِ مِمَّنْ سَبَقْنَا، بَلْ نَطَالِبُ بِمُوَاصَلَةٍ وَمُتَابَعَةِ الْاجْتِهَادِ
وَتَقْلِيدِ النَّظَرِ فِي النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ وَاجْتِهَادَاتِ السَّابِقِينَ.
وَ"الْعَالِمُ الْكَبِيرُ قَدْ يَخْفَى عَلَيْهِ بَعْضُ مَا يُدْرِكُهُ مَنْ هُوَ دُونَهُ؛ لِأَنَّ
الْعِلْمَ مَوَاهِبٌ، وَاللَّهُ يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ." (كَمَا فِي "فَتْحِ الْبَارِي"
(١٧٧/١)

أَحْرَامٌ عَلَيَّ بِلَابِلِهِ الدَّوْحُ حَلَالٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ



وَنَقُولُ أَيْضًا: "إِنَّ لِلْعُلَمَاءِ طَرِيقَةً يَخْتَطُونَهَا، وَمِنْهَا جَاءَ يَحْمِلُونَ
رِحَالَهُمْ فِيهِ وَيَخْطُونَهَا، يَتَّبِعُ آخِرُهُمُ الْأَوَّلَ، وَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الْكُلُّ.
وَلِلطَّرِيقِ رَوَاحِلٌ لَا تُقَطَعُ إِلَّا بِهَا، وَمَرَاحِلٌ تُرْتَحَلُ فِي طَلَبِهَا،
فَإِنْ أَصَبَتْهَا فِيهَا، وَإِنْ كُنْتَ رَاجِلًا فَتَرَجَّلَ عَنْ دَرَبِهَا.
فَحَصَّلُ أَوَّلٍ مَا تُحْصَلُ رَاحِلَةُ الطَّرِيقِ، وَاسِعٌ فِي تَطَلُّبِهَا سَعْيِ
الْغَرِيقِ، فَالْأَمْرُ لَيْسَ بِالسَّهْلِ الطَّيِّعِ، فَحَصَّلُهَا قَبْلَ أَنْ تَسْتَدْرِكَ
إِنْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ.

فَإِذَا حَصَلَتِ الرَّاحِلَةُ؛ فَاعْرِفْ طَرَائِقَهُمْ، وَاسْتَهْدِ بِهِمْ فِي طَرِيقِكَ، وَخُذْ مِنْهُمْ أَصُولَ الْفَنِّ الْمُطْرَدَةَ، وَقَوَاعِدَهُ الْمُتَّفِقُ عَلَيْهَا. وَسَتَجِدُ بَعْدَ مُدَّةٍ؛ أَنَّهُ صَارَ لَكَ نَفْسٌ فِي هَذَا الْعِلْمِ، وَفَقَهُ نَفْسٍ يُعِينُكَ عَلَى الْفَهْمِ، وَمَلَكَةً حَدِيثِيَّةً، تَعْرِفُ بِهَا مَقُولَاتِهِمْ، وَلَوْ قَالُواهَا، وَسُنَنَهُمْ، وَكَيْفَ اسْتَنَوْهَا" (١).



وَعَلَيْنَا أَنْ نَنْفُضَ غُبَارَ اللَّبْسِ وَالتَّلْبِيسِ؛ فَإِنَّهَا مَزَلَّاتُ أَفْدَامٍ وَمَطَاعِنُ آثَامٍ. وَلَا نَفْتَحْ بَابًا يَعْسُرُ عَلَيْنَا سَدُّهُ، وَنَرْمِي سَهْمًا يُعْجِزُنَا رَدُّهُ، وَنُفْسِدُ أَمْرًا يُعِينُنَا إِصْلَاحَهُ!! وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

فَإِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعْتَ مَوَارِدَهُ؛ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ
فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْذُرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَاذِرُ



وَكُلُّ فِتْنَةٍ تَتَحَيَّزُ إِلَى الْهَوَى تَرْجِعُ إِلَيْهِ أَوْ تَسْتَحْسِنُ رَأْيًا تَعَكُفُ
عَلَيْهِ سَوَى مَنْ عَدَّتْهُمْ وَمَحَبَّتَهُمُ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ؛ فَلَا يُعْرَجُونَ عَلَيَّ

(١) انظر: المَقَامَةُ الْحَدِيثِيَّةُ " لِأبي عَمَرَ الْبَكْرِيِّ.

الْأَهْوَاءِ وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى الْآرَاءِ. (١) فَمَا دَخَلَ الْهَوَى شَيْئًا إِلَّا أَفْسَدَهُ.

وَكُلُّنَا نَزْعُكُمْ أَنَّا نُرِيدُ الْحَقَّ وَالْوُصُولَ إِلَيْهِ وَالْعَمَلَ بِهِ، وَأَنَّا نُرِيدُ الْعُودَةَ وَالتَّحَاكُمَ إِلَيَّ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَكِنْ عِنْدَ تَفْسِيرِ وَشَرْحِ هَذَيْنِ الْمَصْدَرَيْنِ الْأَصْلِيِّينِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْجَمِيعِ يَنْحُو كُلُّهُمَا إِلَى مَنْحَى مُخْتَلِفٍ عَنِ صَاحِبِهِ وَيَأْخُذُ هَذَا الْمَنْحَى أَشْكَالًا وَسِمَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، بَلْ تَأْخُذُ صِفَةَ التَّعَارِضِ، وَالْعَجِيبُ أَنَّ كَلِمَةً يَدَّعِي أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ وَأَنَّ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ وَيُؤْمِنُ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَرُبَّمَا وَصَفَ مَنْ يُجَاهِلُهُ وَلَمْ يَلْتَزِمْ بِهَا وَصَلَ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ ضَالٌّ مُبْتَدِعٌ. (٢)



وَقَدْ يَدْخُلُ الْهَوَى - وَهُوَ الدَّاءُ الْمُبِيرُ وَالشَّرُّ الْمُسْتَطِيرُ وَالْفَسَادُ الْأَكْبَرُ - إِلَى النُّفُوسِ وَيَسْرِى فِي خَفَاءٍ، وَقَدْ يَتَسَرَّبُ بِرِذَاءِ بَرَاءَةِ الْقَصْدِ وَخُلُوصِ النِّيَّةِ.

(١) انظر: "معرفة علوم الحديث" لِلْحَطِيبِ البغدادي (ص ٣).

(٢) انظر: "موقف ابن تيمية من الأشاعرة" لِلدُّكْتُورِ / عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

صَالِحِ الْمُحْمُودِ (ص ٥).

وَقَدْ يَتَحَلَّى بِجَوَاهِرِ الدَّقَّةِ وَالِاسْتِيعَابِ وَالتَّمْحِصِ وَالْمَهَارَةِ
وَالْحَذِقِ وَالذِّكَاةِ؛ مُوَهِّمًا التَّطْبِيقَ الْعِلْمِيَّ الْخَالِصَ أَوْ الْبَحْثَ
الْمُنْهَجِيَّ حَتَّى "تَحْسَبَ الشَّحْمَ فَيَمَنْ شَحْمُهُ وَرَمٌ".

بَلْ رَبِّمَا نَجِدُهُ يَحْقِرُ عَقْلَ مَنْ لَا يُدْرِكُ قَوْلَهُ، فَمَا بِالْكَ بِيَمَنْ
يَرْتَضِي هَذَا الْقَوْلَ؟ فَدَعْ عَنكَ مَنْ يُنَافِحُ وَيُدَافِعُ عَنِّ غَيْرِهِ؟ فَهُوَ
عِنْدَهُ أَبِينُ بَيَانًا مِنَ الْبِدَاهَاتِ الْمُسَلَّمَةِ، وَأَظْهَرُ ظُهُورًا مِنَ الشَّمْسِ
السَّاطِعَةِ. وَيَتَحَوَّلُ الْأَمْرُ إِلَى فَوْضَى مُبَعَثَرَةٍ لَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا حَقٌّ مِنْ
بَاطِلٍ، وَلَا صِدْقٌ مِنْ كَذِبٍ، وَلَا صَحِيحٌ مِنْ سَقِيمٍ، وَلَا صَوَابٌ
مِنْ خَطَأٍ.

وَهَذَا أَمْرٌ شَدِيدٌ أَنْ يَتَجَرَّدَ "مِنْ بَطْشَةِ الْأَهْوَاءِ الَّتِي تَسْتَكِينُ
ضَارِعَةً فِي أَعْوَارِ النَّفْسِ فِي كُهُوفِهَا؛ حَتَّى تَمْرُقَ مِنْ مَكْمَنِهَا
لِتَسْتَبِدَّ بِالْقَهْرِ وَتَسَلْطَ".

وَهَذَا هُوَ مَوْضِعُ الْمَخَافَةِ الَّذِي يَسْتَوْجِبُ الْحَذَرَ. (١)



(١) انظر: "رسالة في الطريق إلى ثقافتنا" للأستاذ/ محمود محمد شاكر،
ط. مكتبة الخانجي.

وَقَدْ تَزَيْنَ لِلْإِنْسَانِ نَفْسَهُ حُسْنَ الظَّنِّ بِهَا؛ فَيَتَابِعُهَا فِي هَوَاهَا،
فَيَغْلِبُ الْهَوَىَّ عَقْلَهُ؛ فَيَصْبِحُ أَسِيرًا لَهَا مُرْتَهِنًا بِهَوَاهَا، فَيَلْعَبُ بِهِ
الْهَوَىَّ يَمَنَةً وَيُسْرَى، فَرَبَّمَا يُشْرِفُ بِصَلْفِهِ عَلَيَّ تَلْفِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي،
فَيَلْقِيهِ فِي أَوْدِيَةِ هَلَائِكٍ ذَاتِ شُعَبٍ.

وَأَه؛ لَوْ اجْتَمَعَ مَعَ الْهَوَىَّ إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ فَهَذَا مِنْ أَقْوَى
أَسْبَابِ الْهَلَائِكِ:

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: "الْهَلَائِكُ فِي اثْنَتَيْنِ:
الْقَنُوطُ وَالْعُجْبُ".

وَقِيلَ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها: مَتَى يَكُونُ الرَّجُلُ مُسِيئًا؟ قَالَتْ: "إِذَا
ظَنَّ أَنَّهُ مُحْسِنٌ".

وَكَمَا قَالَ النَّبِيُّ صلی اللہ علیہ وسلم: (١) "ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ،
وَهَوَىٌّ مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابٌ بِالْمَرْءِ بِنَفْسِهِ مِنَ الْخِيَلَاءِ. وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ:

(١) انظُرْ "مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ" لِلْحَافِظِ الْهَيْثَمِيِّ بَابُ "فِي الْمُنْجِيَاتِ
وَالْمُهْلِكَاتِ" حَيْثُ أوردَ أَرْبَعَ رِوَايَاتٍ، وَانظُرْ الرِّوَايَاتِ الأُخْرَى فِي
الصَّحِيحَةِ لِلْأَلْبَانِيِّ (ح ١٨٠٢)؛ حَيْثُ حَكَمَ بِحُسْنِهِ.

الْعَدْلُ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَاقَةِ، وَمَخَافَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ".

فَهُوَ مَقْتٌ وَهَلَاكٌ فَوْقَ هَلَاكٍ.

وَرُبَّمَا أَوْرَثَ ذَلِكَ كِبْرًا وَغُرُورًا خَاصَّةً إِذَا اجْتَمَعَ مَعَ ذَلِكَ نِفَاقَ الْمَادِحِينَ، وَتَمَلَّقَ الْمُنَافِقِينَ.

وَقَدْ نَبَّهَ عَلَيَّ ذَلِكَ الْفُضْلَاءُ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ؛ فَحَثُّوا عَلَيَّ التِّيَقُظَ لِهَذَا، وَنَبَّهُوا عَلَيَّ الْإِحْتِرَازِ مِنْهُ وَالتَّجَنُّبِ عَنْهُ، وَهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (١) "إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ؛ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ".



فِيَا صَاحِبَ النَّفْسِ الشَّرِيفَةِ، وَالْهَمَّةِ الْعَالِيَةِ، وَالْفِطْنَةِ وَالنُّبْلِ وَالْعَقْلِ! إِيَّاكَ وَيَنْبُوعَ الرِّذَائِلِ، وَأُمَّمِ النَّقَائِصِ، وَمِفْتَاحِ بَابِ الْعَطْبِ، وَالْمُورِثِ لِلزَّلَلِ.



(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ٥٣٢٣).

وَعَلَى الْبَاحِثِ أَنْ يَكُونَ مَوْضُوعِيًّا بِكُلِّ مَعْنَى الْمَوْضُوعِيَّةِ مِنْ
 إِقْصَاءِ الْعَوَامِلِ الذَّائِبَةِ وَالنَّزَعَاتِ الشَّخْصِيَّةِ وَالتَّوَجُّهَاتِ
 الْإِيدِيُولُوجِيَّةِ وَالنَّظَرَةِ الْأَحَادِيَّةِ، وَبِكُلِّ حِيَادٍ وَتَجَرُّدٍ وَأَمَانَةٍ
 وَنَزَاهَةٍ وَعَدَمِ تَحْيِيزٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَشْنِجٍ وَلَا تَعْصَبٍ مَقِيَّتٍ أَعْمَى
 يَجْنِي صَاحِبُهُ وَبَالَهُ عَلَي نَفْسِهِ، وَتَتَنَامَى بِسَبَبِهِ أَحْقَادٌ، فَيَلْحَقُ
 شَرُّهُ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَنَالَ مِنَ الْآخَرِينَ.

وَرَحِمَ اللهُ الْإِمَامَ وَكَيْعَ بْنَ الْجَرَّاحِ - الْقَائِلَ -: "أَهْلُ الْحَقِّ:
 يَقُولُونَ الَّذِي لَهُمْ، وَالَّذِي عَلَيْهِمْ، وَأَهْلُ الْأَهْوَاءِ: يَقُولُونَ
 الَّذِي لَهُمْ، وَيَكْتُمُونَ الَّذِي عَلَيْهِمْ."



فَالْبَاحِثُ عَنِ الْحَقِّ يُمَكِّنُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ التَّرَامِيهِ لِمَذْهَبٍ مُعَيَّنٍ
 أَوْ فِكْرٍ أَوْ رَأْيٍ أَوْ إِيدِيُولُوجِيَّةٍ مَعَ الْإِلْتِزَامِ الْعِلْمِيِّ الْمَوْضُوعِيِّ،
 وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ مَذْهَبُهُ يَقُومُ عَلَي الْإِلْتِزَامِ وَالْإِلْتِزَامِ الدِّينِيِّ
 وَالْحُلُقِيِّ الَّذِي يَأْمُرُهُ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ فِي كُلِّ حَيَاتِيَّةٍ، وَخَاصَّةً
 فِي الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالبَحْثِ وَالنَّظَرِ.

وَقَدْ حَذَرَ عُلَمَاؤُنَا الْأَقْدَمُونَ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ عَامٍ، مِنْ عَدَمِ
 الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ بِسَبَبِ التَّعَصُّبِ الْمَقِيَّتِ؛ فَتَرَدَّدَ فِي كُتُبِهِمْ
 وَتَبَّهُوا عَلَيْهِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَوْأَلَفَاتِهِمْ، وَخَصُّوا مِنَ الْقَوَاعِدِ بِكُتُبِ
 وَرَسَائِلِ خَاصَّةٍ؛ مِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ الْحَسَنُ بْنُ الْهَيْثَمِ فِيهَا وَضَعَهُ مِنْ
 قَوَاعِدِ الْمَنْهَجِ فِي كِتَابِهِ (المنظر):

"... وَنَجْعَلُ عَرْضَنَا فِي جَمِيعِ مَا نَسْتَقْرِئُهُ وَنَتَصَفَّحُهُ اسْتِعْمَالَ
 الْعَدْلِ، لَا اتِّبَاعَ الْهَوَى، وَنَتَحَرَّى فِي سَائِرِ مَا نُمِيزُهُ وَنَتَقَدِّدُهُ، طَلَبَ
 الْحَقِّ، لَا الْمَيْلَ مَعَ الْأَرَاءِ، فَلَعَلَّنَا نُنْتَهِيَ بِهَذَا الطَّرِيقِ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي
 بِهِ يُثَلِّجُ الصَّدْرَ، وَنَصُلُّ بِالتَّدْرِيجِ وَالتَّلَطُّفِ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي عِنْدَهَا
 يَقَعُ الْيَقِينُ، وَنَظْفِرُ مَعَ النِّقْدِ وَالتَّحْفِظِ بِالْحَقِيقَةِ، الَّتِي يَزُولُ مَعَهَا
 الْخِلَافُ، وَيَنْحَسِمُ بِهَا مَوَادُّ الشُّبُهَاتِ."

فَاسْتِعْمَلِ الْعَدْلَ، وَابْعُدْ عَنِ الْهَوَى، وَطَلِّبِ الْحَقَّ، وَعَدِمِ
 الْمَيْلَ مَعَ الْأَرَاءِ شَرْطًا لِلْوُصُولِ إِلَى الْيَقِينِ وَالْحَقِيقَةِ!!



وَالنَّقْدُ الْبَنَاءُ، نَقْدٌ يُصَحِّحُ الاجْتِهَادَ الْخَاطِئَ وَبَيَانٌ لِلْحَقِّ،
وَهُوَ مِنْ بَابِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَبَيَانِ الْخَطَأِ
حَتَّى لَا يَقَعَ فِيهِ مَنْ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِهَذَا الْمُخْطِئِ".



نَعَمْ! مِنَ الصَّعْبِ أَنْ يَكُونَ الْبَاحِثُ مَوْضُوعِيًّا وَمُحَادِّثًا تَمَامًا
بِأَنْ يَتَبَنَّى مَوْقِفًا وَسَطًا بَيْنَ طَرَفَيْنِ مُتَنَافِرَيْنِ، فَهَذَا مَوْقِفٌ حَافِلٌ
بِالْمَخَاطِرِ، كَمَا يَقُولُ فِرْدِ هَالِيدَاي (١) مُسْتَنِدًا إِلَى مَثَلِ أَمْرِيكِيِّ
طَرِيفٍ؛ مَبْنَاهُ أَنَّكَ إِذَا سِرْتَ فِي مُتَّصِفِ الطَّرِيقِ فَأَنْتَ مُعَرَّضٌ
لِأَنْ يَكْتَسِحَكَ مَنْ عَلَيَّ يَمِينِكَ وَمَنْ عَلَيَّ يَسَارِكَ عَلَيَّ السَّوَاءِ،
وَهَذَا يُبَيِّنُ مَدَى دِقَّةِ الْبَاحِثِ الَّذِي يَسْعَى إِلَى تَنَاوُلِ أَيِّ مَوْضُوعٍ
يَمْسُهُ تَنَاوُلًا مَوْضُوعِيًّا. (٢)

(١) الْأَيْرَلَنْدِيُّ الْأَصْلُ وَأُسْتَاذُ الْعَلَاقَاتِ الدُّوَلِيَّةِ فِي مَدْرَسَةِ لَنْدُنِ لِلِاِقْتِصَادِ.

(٢) انظُرْ: "الْحَرْبُ الْكُوْنِيَّةُ الثَّلَاثَةُ - عَاصِفَةُ سِبْتَمْبَرِ وَالسَّلَامُ الْعَالَمِيُّ"

لِلدُّكْتُورِ/ السَّيِّدِ يَاسِينَ (ص ١٥٦) ط. مَكْتَبَةُ الْأُسْرَةِ.

إِنَّ هَوَى الْبَاحِثِ وَنَزَعَاتِهِ وَأَيْدِيُولُوجِيَّتَهُ غَالِبًا مَا تُؤَثِّرُ عَلَيْهِ
خُصُوصًا فِي بَحْثِ الْمَوْضُوعَاتِ الْحَسَّاسَةِ وَالشَّائِكَةِ.

فَلَيْسَ مِنَ السَّهُولَةِ أَنْ يَنْسَلِخَ الْإِنْسَانُ مِنْ ذَاتِهِ! (١)



وَإِذَا كَانَ جُونَارَ مِيرْدَال (٢) قَدْ قَالَ فِي تَعْرِيفِ "الْمَوْضُوعِيَّةِ":

"هِيَ أَنْ تُعْلَنَ ذَاتِيَّتُكَ مِنْذُ الْبَدَايَةِ."

أَيُّ أَنَّ عَلِيَّ الْبَاحِثِ أَنْ يُعْلِنَ مُنْذُ بَدَايَةِ بَحْثِهِ هُوِيَّتَهُ وَمَنْظُورَهُ
حَتَّى يَكُونَ الْقَارِيءُ عَلَيَّ بِصِيرَةٍ مُنْذُ الْبَدَايَةِ. (٣)

وَمِنَ السَّهُولَةِ عَلَيَّ الْقَارِيءِ الْمُدْرَبِ صَاحِبِ النَّظَرَةِ
الْفَاحِصَةِ أَنْ يَكْتَشِفَ الْمَرْجِعِيَّاتِ الْفِكْرِيَّةَ لِصَاحِبِ الْبَحْثِ مِنْ
خِلَالِ:

(١) أَنْظَرُ: الْمَصْدَرُ السَّابِقُ (ص ١٣٠)

(٢) وَهُوَ بَاحِثٌ اقْتِصَادِيٌّ سُوَيْدِيٌّ، وَيُعَدُّ مِنْ أَشْهَرِ عُلَمَاءِ الْاجْتِمَاعِ فِي
الْعَالَمِ.

(٣) أَنْظَرُ: الْمَصْدَرُ السَّابِقُ (ص ١٣١)

١. مَفَاهِيمِهِ وَمُصْطَلَحَاتِهِ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا فِي بَحْثِهِ. (١)
٢. اِتِّبَاعِهِ لِلْوَقَائِعِ وَأَنْحِيَازَاتِهِ الْفِكْرِيَّةِ وَتَوَجُّهَاتِهِ الْإِيدْيُولُوجِيَّةِ. (٢)



يَقُولُ الشَّيْخُ / صَالِحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمِيدٍ: (٣)

"الأصلُ الخَامِسُ: التَّجَرُّدُ، وَقَصْدُ الْحَقِّ، وَالْبُعْدُ عَنِ التَّعَصُّبِ، وَالِاتِّزَامُ بِآدَابِ الْحِوَارِ:

إِنْ اتَّبَعَ الْحَقُّ، وَالسَّعْيُ لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَالْحِرْصَ عَلَيِ الْإِتِّزَامِ؛ وَهُوَ الَّذِي يَقُودُ الْحِوَارَ إِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ لَا عِوَجَ فِيهِ وَلَا أَلْتِوَاءَ، أَوْ هَوَى الْجُمُهُورِ، أَوْ الْإِتِّبَاعِ .. وَالْعَاقِلُ -فَضْلاً عَنِ الْمُسْلِمِ الصَّادِقِ- طَالِبٌ حَقٌّ، بَاحِثٌ عَنِ الْحَقِيقَةِ، يَنْشُدُ الصَّوَابَ وَيَتَجَنَّبُ الْخَطَأَ.

(١) أَنْظَرُ: الْمَصْدَرُ السَّابِقُ (ص ١٣٢)

(٢) أَنْظَرُ: الْمَصْدَرُ السَّابِقُ (ص ٢٦٦)

(٣) فِي كِتَابِهِ: "أُصُولُ الْحِوَارِ وَآدَابُهُ فِي الْإِسْلَامِ".

يَقُولُ الْغَزَالِيُّ أَبُو حَامِدٍ: "التَّعَاوُنُ عَلَيَّ طَلَبُ الْحَقِّ مِنَ الدِّينِ، وَلَكِنْ لَهُ شُرُوطٌ وَعَلَامَاتٌ؛ مِنْهَا أَنْ يَكُونَ فِي طَلَبِ الْحَقِّ كَنَاشِدٍ ضَالَّةً، لَا يَفْرُقُ بَيْنَ أَنْ تَظْهَرَ الضَّالَّةُ عَلَيَّ يَدِهِ أَوْ عَلَيَّ يَدِ مُعَاوِنِهِ. وَيَرَى رَفِيقَهُ مُعِينًا لَا خَصْمًا. وَيَشْكُرُهُ إِذَا عَرَفَهُ الْخَطَأَ وَأَظْهَرَهُ لَهُ" .. "الإحياء" (ج ١).

وَمِنْ مَقُولَاتِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ الْمَحْفُوظَةِ: "مَا كَلَّمْتُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا أَحْبَبْتُ أَنْ يُوقَّقَ وَيُسَدَّدَ وَيُعَانَ، وَتَكُونَ عَلَيْهِ رِعَايَةُ اللَّهِ وَحِفْظُهُ. وَمَا نَاطَرَنِي فَبَالَيْتُ! أَظْهَرْتَ الْحِجَّةَ عَلَيَّ لِسَانِهِ أَوْ لِسَانِي".

وَفِي ذِمِّ التَّعَصُّبِ وَلَوْ كَانَ لِلْحَقِّ، يَقُولُ الْغَزَالِيُّ: "إِنَّ التَّعَصُّبَ مِنْ آفَاتِ عُلَمَاءِ السُّوءِ، فَإِنَّهُمْ يُبَالِغُونَ فِي التَّعَصُّبِ لِلْحَقِّ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى الْمُخَالِفِينَ بِعَيْنِ الْأَزْدِرَاءِ وَالِاسْتِحْقَارِ، فَتَنْبَعِثُ مِنْهُمْ الدَّعْوَى بِالْمُكَافَاةِ وَالْمُقَابَلَةِ وَالْمُعَامَلَةِ، وَتَتَوَفَّرُ بِوَاعِيَتِهِمْ عَلَيَّ طَلَبِ نُصْرَةِ الْبَاطِلِ، وَيَقْوَى عَرَضُهُمْ فِي التَّمَسُّكِ

بِمَا نُسِبُوا إِلَيْهِ. وَلَوْ جَاؤُوا مِنْ جَانِبِ اللُّطْفِ وَالرَّحْمَةِ وَالنُّصْحِ فِي
 الخُلُوءِ، لَا فِي مَعْرِضِ التَّعَصُّبِ وَالتَّحْقِيرِ لِأَنْجَحُوا فِيهِ، وَلَكِنْ لَمَّا
 كَانَ الْجَاهُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِالاسْتِتْبَاعِ، وَلَا يَسْتَمِيلُ الْأَتْبَاعُ مِثْلَ
 التَّعَصُّبِ وَاللَّعْنِ وَالتَّهْمِ لِلْخُصُومِ، اتَّخَذُوا التَّعَصُّبَ عَادَتَهُمْ
 وَالتَّهْمَ. "الإحياء" (ج ١)

وَالْمَقْصُودُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْحَوَارِءُ بَرِيئًا مِنَ التَّعَصُّبِ
 خَالِصًا لِطَلَبِ الْحَقِّ، خَالِيًا مِنَ العُنْفِ وَالْإِنْفِعَالِ، بَعِيدًا عَنِ
 الْمَشَاحِنَاتِ الْأَنَائِيَّةِ وَالْمُغَالَطَاتِ الْبَيَانِيَّةِ، بِمَا يُفْسِدُ الْقُلُوبَ، وَيُهَيِّجُ
 النُّفُوسَ، وَيُولِدُ النَّفْرَةَ، وَيُوغِرُ الصُّدُورَ، وَيَنْتَهِي إِلَى الْقَطِيعَةِ.
 وَقَالَ أَيُّضًا: "يَقُولُ ابْنُ عَقِيلٍ: "وَلَيَقْبَلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ
 صَاحِبِهِ الْحُجَّةَ؛ فَإِنَّهُ أَنْبَلُ لِقَدْرِهِ، وَأَعْوَنُ عَلَيَّ إِدْرَاكِ الْحَقِّ وَسُلُوكِ
 سَبِيلِ الصِّدْقِ".

قَالَ الشَّافِعِيُّ رحمته الله: "مَا نَاطَرْتُ أَحَدًا فَقَبِلَ مِنِّي الْحُجَّةَ إِلَّا
 عَظُمَ فِي عَيْنِي، وَلَا رَدَّهَا إِلَّا سَقَطَ فِي عَيْنِي" (١). أ.هـ.

فَلَا بُدَّ مِنْ جَمْعِ الْمَادَّةِ الْعِلْمِيَّةِ لِلْبَحْثِ مِنْ مَظَاهِرِهَا مِنَ الْمَصَادِرِ
 الْعِلْمِيَّةِ الْمُوثِقِ بِهَا فِي هَذَا الْعِلْمِ أَوْلَا عِلْيَ وَجِهِ الْاِسْتِيعَابِ بِقَدْرِ
 الْاِسْتِطَاعَةِ، ثُمَّ تَصْنِيفِهَا، ثُمَّ تَمْحِصِهَا تَمْحِصًا دَقِيقًا مُفْرَدَةً
 مُفْرَدَةً؛ بِتَحْلِيلِ أَجْزَائِهَا بِدَقَّةٍ مُتَنَاهِيَةٍ وَبِمَهَارَةٍ وَحِدْقٍ وَحَذَرٍ،
 وَإِظْهَارِ الصَّحِيحِ الْمُسْتَبِينِ الظَّاهِرِ مِنَ الزَّيْفِ وَالْبَهْرَجِ وَالْمَنْقُودِ؛
 بِلَا غَفْلَةٍ وَبِلَا هَوَى وَبِلَا تَسْرُعٍ.

ثُمَّ تَرْتِيبِ الصَّحِيحِ الْجَيِّدِ بَعْدَ نَفْيِ زَيْفِهِ وَوَضْعِهِ حَقًّا
 مَوْضِعِهِ دُونَ إِخْلَالِ أَوْ تَسْرُعٍ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ حُسْنِ الصَّبْطِ الْمُتَحَرِّيِ
 أَيِّ دِقَّتِهِ، وَالْحَذَرِ. (١)

مَعَ الْحَرَصِ عَلَيَّ أَنْ تَكُونَ الصِّيَاغَةُ بِأُسْلُوبٍ عِلْمِيٍّ بَعِيدٍ عَنِ
 الْحُسُوِّ وَالْغُمُوضِ.



وَلَيْكُنِ الرَّدُّ بِ(مَوْضُوعِيَّةٍ) مَا اسْتَطَعْنَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا؛ بِأَنَّ:

(١) انظر: "رسالة في الطريق إلى ثقافتنا" للأستاذ/ محمود محمد شاكر،
 ط. مكتبة الخانجي.

❁ نَعْرَضُ آرَاءَ الْمُخَالَفِ بِأَمَانَةٍ وَنَزَاهَةٍ كَمَا أَوْرَدَهَا مُشِيرِينَ
- مَا اسْتَطَعْنَا - إِلَى مَوَاضِعِهَا.

❁ تُبَيِّنُ مَوَاضِعَ الْخَلَلِ وَالْإِنْتِقَاءِ.

❁ نُورِدُ الْأَدِلَّةَ عَلَيَّ ذَلِكَ.



وَلْيَكُنِ الْمَهْدَفُ هُوَ طَلْبُ الْحَقِّ وَإِيضًا حُهُ، وَالْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ
يُتَّبَعَ، وَعَدَمُ قَصْدِ الْإِسَاءَةِ لِأَحَدٍ أَوْ تَتَّبِعَ زَلَاتِهِ وَعَثْرَاتِهِ - غَفَرَ اللَّهُ
لَنَا وَلَهُ -، وَلْيَكُنِ الْقَصْدُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ الْبِنَاءُ وَالتَّسْهِيرُ؛ لَا
لِلْهَدْمِ وَالتَّشْهِيرِ.

وَلَا نَسْمَحُ لِلْبِرَاعِ أَنْ يَنَالَ مِنْ شَخْصِ الْمُخَالَفِ؛ حَتَّى لَوْ
سَمَحَ لِنَفْسِهِ أَنْ يَنَالَ مِنْ شُخُوصِ مُعَارِضِيهِ، وَبَدَأَهُمْ بِالْقَوْلِ
الْقَارِصِ وَالتَّجْرِيحِ.

وَعَلَيْهِ أَنْ يَفْهَمَ أَنَّ الَّذِي يَنْتَقِدُهُ مِنْ إِخْوَانِهِ هُوَ مَنْ يُجِبُّهُ؛
لِأَنَّ "صَدِيقَكَ مَنْ صَدَقَكَ لَا مَنْ صَدَقَكَ".

فَنَحْنُ إِخْوَانُهُ، وَهُوَ بَعْضُ مِنَّا وَيُؤْذِنَا مَا يُؤْذِيهِ، وَنَقْدُنَا لَهُ
عَلَى مَضْضٍ مِنَّا بَعْدَ أَنْ أَشْعَلَ النَّيِّرَانَ:

بَعْضِي عَلَيَّ بَعْضِي يُجَرِّدُ سَيْفَهُ وَالسَّهْمُ مِنِّي نَحْوَ صَدْرِي يُرْسَلُ
وَالنَّارُ تُوقَدُ فِي خِيَامِ عَشِيرَتِي وَأَنَا الَّذِي يَا وَيْلَتَاهُ الْمُسْعِلُ



فَالنَّقْدُ لَأَبْدٌ أَنْ يَكُونَ نَقْدًا هَادِفًا لَيْسَ وَرَاءَهُ تَوَجُّهَاتٌ وَلَا
صَغَائِنٌ، وَلَا يُقْصَدُ مِنْ وَرَاءِهِ تَتَّبِعُ الْأَخْطَاءَ وَالزَّلَّاتِ، وَالْعِبْرَةُ
بِالنَّقْدِ بِالذَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ لَا بِتَسْوِيدِ الْأَوْرَاقِ.

وَالدَّعَاوَى إِذَا لَمْ يُقِيمُوا عَلَيْهَا بَيْنَاتٍ؛ أَصْحَابُهَا أَدْعِيَاءُ
وَيَقُولُ آخَرُ:

وَإِذَا الدَّعَاوَى لَمْ تَقُمْ بِدَلِيلِهَا بِالنَّصِّ؛ فَهِيَ عَلَى السَّفَاهِ دَلِيلُ



وَعَلَى الْبَاحِثِ أَنْ يُظْهِرَ لِلْقَارِئِ فِي بَحْثِهِ نَزَاهَةَ الْقَصْدِ وَعِفَّةَ
الْقَلَمِ وَأَمَانَةَ الْاِسْتِدْلَالِ.

وَنَقُولُ لَهُ مَا قَالَهُ بَدِيعُ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِيُّ:

اسْمَعْ نَصِيحَةَ نَاصِحٍ جَمَعَ النَّصِيحَةَ وَالْمَقَّةَ (١)
 وَلَيْكُنِ الْبَاحِثُ؛ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: "وَحَصَّنْتُ صَدْرًا جَبِيهُ لَكَ
 نَاصِحٌ" (٢)



وَحَسْبُ الْبَاحِثِ أَنْ يَجْتَهِدَ وَيَبْذُلَ الْجُهْدَ - قَدَّرَ الْإِمْكَانِ
 وَالِاسْتِطَاعَةَ - مَعَ اعْتِرَافِهِ بِقُصُورِهِ. وَحَسْبُهُ أَنَّهُ لَبِنَةٌ فِي تَشْيِيدِ
 صَرْحٍ، وَأَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَهُ بِهِ، وَأَنْ يَكُونَ قَدْ وُفِّقَ فِيمَا رَجَاهُ
 وَحَرَصَ عَلَى حُصُولِهِ، وَأَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ
 الْعُلَا أَنْ يَهْدِيَهُ وَيُلْهِمَهُ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ وَسَوَاءَ السَّبِيلِ، وَأَنْ
 يَحْدُوهُ الْأَمَلُ أَنْ يَكُونَ وَافِيًا بِالْغَرَضِ مُحَقِّقًا لِمَا يَرْجُوهُ، وَأَنْ يَكُونَ
 إِضَافَةً فِي هَذَا الْمَجَالِ. وَأَنْ تَكُونَ هِمَّتُهُ تَتَمَثَّلُ فِي تَمْهِيدِ السَّبِيلِ
 وَتَحْدِيدِ مَعَالِمِ الطَّرِيقِ وَوَضْعِ الْقَارِي عَالِي الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ بَعْدَ

(١) أَي: الْمَحَبَّة.

(٢) الْجَبِيبُ يُرَادُ بِهِ الْقَلْبُ وَالصَّدْرُ، وَالْمَعْنَى أَنِّي لَكَ نَاصِحٌ أَمِينٌ.

تَرْوِيهِ بِالزَّادِ الْعِلْمِيِّ الضَّرُورِيِّ. وَمِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الْعَوْنَ
وَالْتَوْفِيقَ وَاهْدِنِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ!



وَالْبَعْضُ مِنَّا قَدْ يَرَى أَنَّنَا بَدَلًا مِنْ الرَّدِّ عَلَى أَخْطَاءِ إِخْوَانِنَا
يَجِبُ أَنْ نَتَفَرَّغَ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ وَرَدِّ شُبُهَاتِهِمْ وَضَلَالَاتِهِمْ، وَهَذَا فِي
ظَنِّنَا مِنَ الْوَرَعِ الْبَارِدِ الْمَزِينِ لِكَثِيرٍ مِنَ السُّنَّجِ عَلَيَّ حِسَابِ الدِّينِ
وَالْعَقِيدَةِ. مَعَ إِيمَانِنَا بِضُرُورَةِ الرَّدِّ عَلَى الشُّبُهَاتِ وَالضَّلَالَاتِ.



مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتْ هَذِهِ النَّصِيحَةُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ
أَوْصَانَا بِالْحِرْصِ عَلَيَّ النَّصِيحَةَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ؛ الَّتِي هِيَ أَسُّ الدِّينِ
وَنُصْرَةٌ لِلْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ
لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ (الحج ٤٠)؛ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جَرِيرِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: "بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ إِقَامِ
الصَّلَاةِ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ".

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ". قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: "لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ".

وَقَوْلُهُ: (الدِّينُ: النَّصِيحَةُ) "دَلَالَةٌ عَلَيَّ أَنَّ النَّصِيحَةَ مُرْتَكِزُ الدِّينِ الْأَصِيلِ، وَأَسَاسُهُ الرَّاسِخُ، إِذْ بَدُونَهَا لَا يَصِحُّ إِيمَانُ الْمَرْءِ، وَلَا يَحْسُنُ إِسْلَامُهُ، وَهَذَا مِصْدَاقُ قَوْلِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ". (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُحِبَّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ إِلَّا إِذَا كَانَ لَهُ مُجِبًّا نَصُوحًا" أ.هـ.

وَيَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (١) "المُؤْمِنُ مِرْأَةٌ أَخِيهِ، وَالمُؤْمِنُ أَخُو المُؤْمِنِ؛ يَكْفُفُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحْوَطُهُ مِنْ وَرَائِهِ".

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي "الأَدَبِ المُفْرَدِ" ح ٢٣٩، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٩٢٩) وَأَبُو دَاوُدَ (٤٨٨٢)، وَحَسَنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي "السَّلْسِلَةَ الصَّحِيحَةَ" ح ٩٢٦، وَالحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي "بُلُوغِ المَرَامِ".

وَيَقْتَبِسُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه هَذَا الْهَدْيَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: (١) "الْمُؤْمِنُ مِرَاةٌ أَخِيهِ إِذَا رَأَى فِيهَا عَيْبًا أَصْلَحَهُ".



إِنَّ كُلَّ إِنَاءٍ بِمَا فِيهِ يَنْضَحُ، وَالزَّهْرَ لَا يَنْفَحُ إِلَّا الشَّدَا،
وَالْأَرْضَ الطَّيِّبَةَ لَا تُخْرِجُ إِلَّا النَّبَاتَ الطَّيِّبَ، وَاللَّهُ دَرُّ الشَّاعِرِ (هُوَ
زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ) إِذْ يَقُولُ:

وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيئَةَ إِلَّا وَشِيعَتُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ^(٢)
وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ عَلِيٌّ كُلُّ مُسْلِمٍ أَنْ يَنْصُرَ أَخَاهُ فِي جَمِيعِ
الْأَحْوَالِ؛ يَنْصُرُهُ إِنْ كَانَ عَلَيَّ الْحَقُّ؛ فَيَقِفُ بِجَانِبِهِ، يُؤَاوِرُهُ وَيَزُوْدُ
عَنْهُ وَيَنْصُرُهُ، وَإِنْ كَانَ عَلَيَّ غَيْرَ الْحَقِّ؛ فَيَنْهَاهُ، وَيَنْصَحُهُ، وَيَزْجُرُهُ
عَلَى الْاِرْتِكَاسِ فِي حِمَاةِ الْبَاطِلِ، وَالتَّرَدِّي فِي مُسْتَنْفَعَاتِ الظُّلْمِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي "الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ".

(٢) انظر: "شَخْصِيَّةُ الْمُسْلِمِ كَمَا يَصُوغُهَا الْإِسْلَامُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ" د.

مُحَمَّدُ عَلِيُّ الْهَاشِمِيُّ (ص ١٤٧، ١٤٦) طَبْعَةٌ: وَكَالَتِ الْمَطْبُوعَاتِ وَالْبَحْثِ

الْعِلْمِيِّ - السَّعُودِيَّة. ١٤٢٥ هـ.

وَهَذَا مَا دَعَا إِلَيْهِ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ

جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (١)

اَقْتَتَلَ غُلَامَانِ؛ غُلَامٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَغُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ،

فَنَادَى الْمُهَاجِرُ أَوْ الْمُهَاجِرُونَ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ! وَنَادَى الْأَنْصَارِيُّ:

يَا لِلْأَنْصَارِ! فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالَ: "مَا هَذَا؟

دَعَوَى أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ؟" قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِلَّا أَنَّ غُلَامَيْنِ

اَقْتَتَلَا، فَكَسَعَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ. قَالَ: "فَلَا بَأْسَ، وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ

أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا؛ إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْصُرْهُ فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ، وَإِنْ كَانَ

مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ." (٢)



(١) حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ، وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ أَيْضًا.

وَأَنْظَرُ: "الْمُصَدَّرُ السَّابِقُ" (ص ١٤٩-١٥٠)

(٢) النَّصْرُ عِنْدَ الْعَرَبِ الْإِعَانَةُ، وَتَفْسِيرُهُ لِنَصْرِ الظَّالِمِ بِمَنْعِهِ مِنَ الظُّلْمِ مِنْ

تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِمَا يُتَوَلَّى إِلَيْهِ، وَهُوَ مِنْ وَجِيزِ الْبَلَاغَةِ. وَأَنْظَرُ "فَتْحُ الْبَارِي"

لِلْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ فِي "بَابِ أَعْيُنِ أَخَاكَ" مِنْ كِتَابِ الْمَظَالِمِ.

وَنَحْنُ لَا نَدَّعِي أَنَّنَا وَفِينَا الْمَوْضُوعَ حَقَّهُ، كَمَا لَا نَدَّعِي
الإِصَابَةَ وَالتَّسَدِيدَ فِي كُلِّ مَا قُلْنَا؛ فَالْخَطَأُ وَالزَّلُّلُ مِنْ طَبِيعَةِ
البَشَرِ، فَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ حَقٍّ وَصَوَابٍ فَمِنَ اللَّهِ، وَمَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ
فَمِنُ أَنْفُسِنَا وَمِنَ الشَّيْطَانِ وَاللَّهُ بَرِيءٌ مِنْهُ، وَتَسْتَغْفِرُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ
خَطَأٍ وَزَلَلٍ وَتُوبُ إِلَيْهِ.

